ونكرر هذا على المنازل التى سكنها سيد درويش ، وكامل الخلعى ، والرافعى ، ونخرى أبو السعود ، وغيرهم !

إن هذه اللوحة الصغيرة لن تكلفنا شيئا ، ولكنها ستكون بعيدة الأثر فى إحياء ذكرى الكاتب أو الفنان بعد مائة عام !

إننا فى عهد البعث ، عهد الإحياء ، هذا العهد الجديد الذى جب كل ما كان قبله ، العهد الذى يقوم على السواعد الشابة الفتية والنفوس المؤمنة الصادقة ، التى ظلت تجاهد وتعمل حتى طلع الفجر من وراء الليل الأسود الطويل ، وفى هذا العهد يجب أن نصنع كل شئ فى سبيل المجد ، مجد مصر.. والأبطال الحقيقيون ، الخالصون ، الذين رفعوا صوتهم فى الأيام السود ، والذين جاهدوا فى وقت كان الظلام يعم فيه كل شئ ، وكانت كلمة الحق أقسى على الظالمين من أصوات المدفع ، وكان كل حر معرض لأن يذهب إلى غير رجعة ، هؤلاء الذين وقفوا وقفة الأسد فى وجه الطغيان ، يجب أن ننحنى لهم اليوم !

أنور الجندى

زكى طليمات المفترى عليه

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

كنت آمل أن أستقبل الموسم المسرحى الجديد بما استقبلت به الموسمين الماضيين من بشر وتفاؤل . بل كنت آمل أن أزداد بشرا وتفاؤلا كما تقضى بذلك سنة التطور . غير أن الأحداث التى تواجه المسرح المصرى فى الآونة الراهنة تدعونى مع الأسف الشديد إلى الحزن والأسى إشفاقا على مصيره . ذلك لأنها ليست من قبيل الأحداث الكثيرة التى واجهت مختلف المسارح فى مختلف الأمم حينما كانت فى دور التكوين، وإنما هى أحداث مفتعلة من شأنها — لو تحققت مراميها — تقويض مسرحنا وتدمير كيانه وتجهز على حاضره ومستقبله، وتعصف بالجهود المضنية التى بذلها المخلصون من رجاله حتى وصل إلى ما وصل إليه من ارتقاء نسبى

ولعله من العجيب أن تحدث هذه الأحداث فى الوقت الذى تطالب فيه البلاد بتطهير مرافقها — والمسرح فى مقدمتها — من الجهل والفوضى ، بل الأعجب من ذلك أن تحدث هذه الأحداث باسم التطهير دون أن يفطن مفتعلوها إلى الفارق الجسيم بين التطهير والتدمير

بدأت هذه الأحداث عمليا منذ منتصف الشهر الماضى عقب أن أوفدت قيادة الجيش الباسلة مندوبا عنها إلى الهيئات الفنية ليعاونها فى استنقاذ النشاط الفنى من براثن الرجعية وتوجيه الفنون وجهة قومية تحقق بها وظيفتها المثلى. وكم كان غريبا ومريبا أن يجتمع ممثلو الفرقة المصرية وفرقة المسرح الحديث لا ليعملوا على تحقيق هذه التوجيهات القويمة ؛ ولكن ليقدموا إلى ولاة الأمور مذكرات لا تمس الفن والإصلاح الفنى إلا بقدر ضئيل ، وهى بعد ذلك تتضمن مطالب ينحو بعضها منحى شخصيا ويستهدف غايات غير فنية وينطوى على مثالب وترهات يندى لها الجبين . وليس أدل على ذلك من أن يطعن ممثلو فرقة المسرح الحديث عميدهم « زكى طليمات » طعنات قاتلة ! والأدهى من ذلك أن يطالبوا بتنحيته عن إدارة الفرقة التى تعتبر ثمرة جهاده الفنى

وأبادر فأؤكد أننى لا أبتغى الدفاع عن تصرفاته ولا أبتغى مهاجمة أعضاء الفرقة فى وضعهم الجديد الذى استقروا عليه الآن ، بل لا أبتغى تناول النواحى الشخصية التى انزلقوا إليها ، تاركا تقدير ذلك لحكمة ولاة الأمور وفطنتهم . وإنما أبتغى ، كناقد ، أن أكشف عن بواعث هذه المحنة من الناحية الفنية وحدها ، وأن أوضح مدى ما يترتب عليها من خطورة على الفن المسرحى

وربما لا يفى لإيضاح ذلك أن نسرد تاريخ زكى طليمات وجهاده الفنى فى أكثر من ثلاثين عاما؛ بل يجدر بنا أن نتلمس أثره العميق فى الحقبة الأخيرة التى بدأت بإنشاء فرقته وانتهت باستقالته وندب غيره لإدارتها وانقطاع الصلة الوثقى بينه وبين تلامذته الذين تألبوا عليه لنرى نتائج هذا الأثر فى تطور المسرح المصرى وبالتالى لنرى مدى الخسارة التى ستلحق به بفضل المتألبين ... الناشئين !

ولنعد قليلا إلى الوراء . وحسبنا أن نعود إلى الفترة التي سبقت إنشاء هذه الفرقة لنستذكر ما جاهر به النقاد وقتئذ ، فقد أجمعوا على أن المسرح المصري بلغ من الهزال حدا لارجاء فيه ، وحاول بعضهم تأويل ذلك إما بغلبة السينما عليه على اعتبار أنها أكثر منه ملاءمة لروح العصر .. أو بانصراف الناس إلى أمور معاشهم أو ماشابه ذلك ونسوا جميعا أن المسرح فن لا يزال يزدهر عند الأوربيين وهم أكثر منا اشتغالا بالسينما وتكالبا على الأمور المعاشية ... والمهم أن أحدا لم يتمكن من تشخيص الداء ووصف الدواء سوى زكي طليمات . . إذ اهتدى بثقافته وتجربته وتخصصه إلى أمرين جوهريين :

الأمر الأول أن النهاية التي وصل إليها مسرحنا لم تكن إلا نتيجة حتمية للبداية التي بدأ بها . فقد بدأ في أواخر القرن الماضي بداية ساذجة بمعنى أنه لم ينبت نبتا طبيعيا كما حدث عند الإغريق، ولم يستنبت استنباتا سليما كما حدث في أوربا ، فكان لابد من أن ينتهي إلى تلك النهاية الساذجة

والأمر الثاني أن المسرح فن لا تستقيم له الحياة إلا إذا توافرت له البيئة التي تحيا فيها والعقلية التي تدركه ، وهذا مالم يتهيأ لمسرحنا في شتى عهوده . فكما أن فكرة الجيل القديم عنه لم تخرج عن اعتباره إحدى وسائل التسلية والتلهية والتنفيس.. كذلك ظلت فكرة الجيل الأخير مع اختلاف في التفاصيل دون الصميم

من أجل ذلك وضع سياسته الفنية على أساس تقريب إنتاجنا من الأوضاع الفنية الصحيحة وتهيئة بيئتنا وأذهاننا لتقبل هذه الأوضاع ، وتحقيقا لهذه السياسة أنشأ فرقته على دعائم منهجية وحدد برنامجها في ثلاث مراحل رئيسية : المرحلة الأولى مرحلة الترجمة عن الغرب والتلمذ على الغربيين فيما امتازوا فيه ، والمرحلة الثانية مرحلة التجربة والممارسة ، والمرحلة الثالثة مرحلة الخلق والابتداع . وكما وفق في التصميم وفق أيضا في التطبيق ، ولهذا أعرضت فرقته عن الوسائل الارتجالية، وترفعت عن معالجة النزعات السطحية ، وآثرت تقديم الترجمات الممتازة ، فقدمت في مستهل عهدها ثلاث روايات لموليير ورواية لتشيكوف وأخرى لبريستلي دون أن تمسخها بالتمصير والتعريب..وظلت تسير على هذه الوتيرة حتى تأججت الثورة على الاستعمار في الموسم الماضي.. فكان زكي طليمات أول من استجاب للدواعي الوطنية من رجال المسرح..وقدم روايتين وطنيتين.. وآثر أن يرجئ برنامجه ليشارك الثوار ويضئ الطريق للأحرار

وهكذا نجح ماديا ومعنويا.. وأفلح فنيا وقوميا.. وفاز برضاء الوطن والفن وتأييد المخلصين

هذه هي قصة زكي طليمات موجزة خلال العامين الماضيين ، وهذه هي أيضا قصة بجماليون القرن العشرين

فقد روت الأساطير الهلينية أن الفنان بجماليون ابتدع تمثالا رائع الجمال فشغف به حبا وتوسل إلى الإلهة أفروديت أن تمنحه زوجة شبيهة بهذا التمثال. واستجابت الإلهة لهذا التوسل بأكثر مما كان يتصور.. إذ منحت الحياة للتمثال ذاته وتزوج بجماليون تمثاله الذي ابتدعه بيديه . وما أظن أن رمزية هذه الأسطورة في حاجة إلى إيضاح.. لكن مايجدر بنا إيضاحه أن أحدا من شعراء الإغريق لم يحاول إخراجها مسرحيا وإنما اكتفوا واكتفى الأدباء من بعدهم باستلهامها واستيحائها..فاستلهمها (مارستون) في أشعاره التي ظهرت عام ١٥٩٨ واستوحاها (موريس) في مجموعته القصصية التي ظهرت عام ١٨٦٨ وجاء المحدثون فوجدوا فيها معينا لمسرحيات كوميدية.. نذكر من هؤلاء جلبرت ثم شو ثم توفيق الحكيم وغيرهم..ومع هذا لم يرتض أحدهم أن يخرجها من إطارها أو أن يزري بكرامة الفنان بجماليون في الصراع بينه وبين تمثاله .. واحتفظوا له بكيانه وأخرجوه منتصرا على تحفته الفنية باعتباره مبتدعها ونافخ الروح والجمال فيها . ولكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الرونق الفني فرموا المبتدع بحجارة تمثاله وخلقوا من الكوميديا مأساة .. أولئك هم الزملاء الفضلاء ممثلو فرقة المسرح الحديث وهذه مسرحيتهم التي مثلوها أخيرا مع عميدهم الذي ابتدع فرقتهم، ونفخ فيها الحياة والجمال ، وعشقها وتفانى في الإخلاص لها فكان جزاءه الجحود والعقوق

وإني لأذكر في يوم ميلادها كيف حرص على أن يكتب في أول نشرة أذاعها : « إن هذه الفرقة لن تهلك إلا إذا ائتمر أعضاؤها على قتلها » وكنت مع إعجابي بحصافته وبعد نظره أعجب لذلك وأعجب أكثر من ذلك لإصراره على تسجيل هذه العبارة في كل نشراته بلا استثناء ، وما كان يدور بخلدي أن ما توهمه